الملحق الرّابع

نجد في الشّعر العربي

ما قيل في نجد من الشعر شيء لا يحصى كثرة ، وسنذكر هنا بعض ما وجدناه من هذا الشعر في الأغاني ومعجم البلدان والحماسة وتاريخ نجد للألوسي وغيرها من الكتب .

تمتع من شميم عرار نجد

قال الصمة بن عبد الله القشيري

« أقول لصاحبي والعيس تهوي [1] بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد وريّا روضه بعد القطار
وأهلك اذ يحل الحي نجدا وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا بانصاف لهن ولا سرار »

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غضّ النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي

---

١ – . وفي رواية : تخدي . والعرار بهار البر، نبت طيب الريح، قال ابن بري هو النرجس البري .

وقـد زعموا ان المحب اذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي ود »

وقالت رامة بنت حصين الأسدية

« ألام على نجد ومن يك ذا هوى يهيجه للشوق شتى يرابعه . »

وقال جرير بن عطية بن الخطفي :

هوى بتهامـة وهوى بنجد فيلتمُ التهــائم والنجـود

وقال مجنون ليلى :

ألا ليت شعري عن عوارضتي قبا لطول الليــالي هل تغيرتا بعدي
وهـل جــارتانا بالنشيل إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على العهد
وعن عــلويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد ؟
وعن أقحوان الرمل ما هو فـاعل إذا هــو أسرى ليلة بثرى جعد

وقال الحطيئة :

ألا طرقتنا بعد مـا هجعوا هنـد وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد
وان التي نكبتها عـن معـاشر علي فضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأي وإنمـــا أتاهم بهـا الأحلام والحسب العدّ
فـأن الشقي من تعـادي صدورهم وذو الجد من لانوا اليه ومن ودّوا
يسوسون أحلامـــاً بعيداً أناتهـا فان غضبوا جـــاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم ، لا أبـاً لأبيكم ، من اللوم ، أو سدّوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنـا وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها ، وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا !
وان قال مولاهم على كل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا !
مطاعين في الهيجا ، مكاشيف للدجى بنى لهـم آباؤهم وبنى الجـــد !

وقال الصمة بن عبدالله :

حننت إلى « ريا » ونفسك باعدت مزارك من ريا ، وشعباكما معا
قفا ودعا « نجدا » ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا
بنفسيَ تلك الأرض ما أطيب الربى وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع عليك ، ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

وقال جرير :

أحب ثرى نجد ، وبالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

وقال المرار الفقعسي :

إذا تركت وحشية النجد[1] لم يكن لعينيك مما تشكوان طبيب

اشعار الأعراب في نجد

أورد « معجم البلدان » بعض ما قاله الأعراب من الشعر في نجد ، وهو شيء لا يحصى كثرة .

قال أعرابي :

أكرر طرفي نحو « نجد » وانني اليه وان لم يدرك الطرف أنظر
حنيناً الى أرض كأن ترابها اذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه ونور الأقاحي وشي برد محبّر
أحنّ الى أرض الحجاز وحاجتي خيام «بنجد» دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو « نجد » بنافع أجل لا ، ولكني الى ذلك أنظر

---

١ – استشهدوا بهذا البيت على انهم يستعملون كلمة « نجد » معرفة بأل : النجد .

أفي كل يوم نظرة ثم عـــبرة | لعينيك يجرى ماؤهـــا يتحدّر
متى يستريح القلب اما مجاور | بحرب ، واما نازح يتـذكـّر ؟!

وقال أعرابي

فيا حبذا « نجد » وطيب ترابه | اذا هضبته بالعشيّ هـواضبه
وريح صبا «نجد» اذا ما تنسمت | ضحى،أو سرت جنح الظلام جنائبه
بأجرع ممراع كأن رياحه | سحاب من الكافور، والمسك شائبه
وأشهد لا أنساه ما عشت ساعة | وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة | بذكراه حتى يترك الماء شاربه.

وقال أعرابي آخر :

رأيت بروقاً داعيات إلى الهوى | فبشرت نفسي أن نجـداً أشيمهـا
إذا ذكر الأوطان عندي ذكرته | وبشرت نفسي أن نجـداً أقيمهـا
ألا حبذا نجـــد ومجرى جنوبه | إذا طـاب من برد العشي نسيمها
أجِدّك لا ينسيك نجـداً وأهـله | عياطل دنيـــا قد تولى نعيمهـا !

وقال أعرابي آخر :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي | ويجلو ذرى الظلماء ذكرتني نجدا
ألم ترَ أن الليـل يقصر طوله | بنجـد وتزداد الرياح بـــه بردا

وقال أعرابي من بني طهية :

سمعت رحيل القـــافلين فشاقني | فقلت اقرأوا مني الـسلام على دعد
أحـنّ إلى نجـــد وإني لآيس | طوال الليالي من قـُفـُول إلى نجد
تعزّ فلا نجد ولا دعـد فاعترف | بهجر إلى يوم القيـــامة والوعد

وقال نوح بن جرير الخطفي :

ألا قـد أرى أن المنـايا تصيبـني | فـما لي عنهن انصراف ولا بُـدّ

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتتي ... ولكن بنجد حبذا بلداً نجـــد
بلاد نـأت عنهـا البراغيث والتقى ... بها العين والآرام والعفر والربد

وقال أعرابي آخر :

ألا هـــل لمحزون ببغداد نازح ... إذا ما بكى جهـد البكاء مجيب
كأني ببغداد وإن كنت آمنـــاً ... طريـد دم نائي المحـــل غريب
فيا لائمي في حب نجـــد وأهله ... أصـــابك بالأمر المهمّ مصيب

وقال أعرابي آخر :

تبدلت من نجـــد وممن يحـــله ... محلة جند ، ما الأعاريب والجند ؟
وأصبحت في أرض البنود وقد أرى ... زماناً بأرض لا يقال لها بند ! [1]

وقال اعرابي آخر :

خليـليّ هل بالشام عـين حزينة ... تبكي على « نجد » لعلي أعينها !
وهل بائع نفساً بنفس أو الأسى ... إليهـا فأجلاها بذاك حنينهـــا
وأسلمها البـاكون إلا حمامـة ... مطوقة قد بان عنها قرينهـــا
تجـاوبها أخرى على خيزرانـــة ... يكاد يدّنيها من الأرض لينهـا
نظرت بعيني مؤنسين فـلم أكد ... أرى من سهيـل نظرة أستبينهـا
فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة ... فهيّج لي شوقاً « لنجد » يقينها !
ألا يا حبذا « نجد » وطيب ترابه ... وغلظة دنيا أهل نجد ، ودينها .

وقال اعرابي آخر :

سقى الله «نجداً» من ربيـع وصيّف ... وماذا ترجى من ربيـع سقى «نجدا»
بـــلى إنه كان للعيش مرّة ... وركناً بهـا والبيضِ منزلةً حمدا

---

١ – البنود بأرض الروم كالأجناد بأرض الشام والكور بالعراق والمخاليف في اليمن.

وقال اعرابي آخر :

ومن فرط إشفاقي عليـــك يسرني ... سُلوكِ عني خوفَ أن تجدي وجدي
وأشفق من طيف الخيـال اذا سرى ... مخافة أن يدري به ساكنو « نجد »
وأرضى بأن تفديك نفسي من الردى ... ولكنني أخشى بكاءك من بعـدي
مذاهب شتى للمحبين في الهـــوى ... ولي مذهب فيهم أقول به وحـــدي

وقال اعرابي آخر :

لعمري لمكـــاء يغني بقفرة ... بعلياء من نجد علا ثم شرّقـــا
أحب إلينا من هديل حمامـــة ... ومن صوت ديك هاجه الليل أبلقا

وقال عبد الرحمن بن دارة :

خليليّ ان حانت بحمص منيتي ... فلا تدفناني وارفعاني إلى نجد !

وأدخل على عبد الملك بن مروان عشرة من الخوارج فأمر بضرب رقابهم وكان يوم غيم ومطر ورعد وبرق ، فضربت رقاب تسعة منهم ، وقـُدّم العاشر ليضرب عنقه فبرقت برقة ، فأنشأ يقول :

تألـّق البرق نجدياً فقلت له ... يا أيها البرق إني عنك مشغول
بذلة العقل حيران بمعتكف ... في كفه كحباب الماء مسلول

فقال له عبد الملك : ما أحسبك إلا وقد حننت إلى وطنك وأهلك ، وقـــد كنت عاشقاً !

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين !

قال : لو سبق شعرك قبل أصحابك ، لوهبناهم لك ! خلوا سبيله !

فخلوه .

وقدم بعض أهل هَجَر إلى بغداد فاستوبأها فقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليـــلة ... وأزداد من نجد وصاحبه بعـــدا
ألا إن بغداداً بـــلاد بغيضة ... إليّ وإن كانت معيشتها رغـدا
بلاد تهبّ الريح فيهـــا مريضة ... وتزداد خبثاً حين تمطر أو تندى

اليمامة في الشعر

ورد اسم اليمامة كثيراً في الشعر . فالأعشى يذكر قصة زرقاء اليمامة . وعمرو ابن كلثوم يذكر بلاد اليمامة في معلقته فيقول:

تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلا حدينا
وأعرضت «اليمامة» واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

وقالت شاعرة بدوية ، لما ذكر لها اسم اليمامة :

تذكرني بلاداً خير أهلي بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإله أجش صوبا يسح بدره بلد « اليمامة »

ومن قصيدة لابراهيم بن علي بن هرمة يمدح فيها السري بن عبد الله[1]:

(فقل للسري، الواصل البر ذي الندى مديحاً إذا ما بث صدق قائله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حجر وغيرها من الأرض حتى عاش بالقبل آكله
وأنت تُرجّى للذي أنت أهله وتنفع ذا القربى لديك وسائله .)

وقال يحيى بن طالب الحنفي ، وهو من اليمامة ، اضطر الى النزوح عنها الى بغداد :

أقول لموسى والدموع كأنها جداول فاضت من جوانبها تجري
الاهل لشيخ وابن ستين حجة بكى طرباً، نحو «اليمامة» من عذر؟
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
تغربت عنها كارهاً وهجرتها وكان فراقيها أمرّ من الصبر[2]

١ – الأغاني .
٢ – معجم البلدان ، تحت اسم « قرقرى » .

شعراء نجد في الجاهلية وأول الاسلام

الحديث عن شعراء نجد في الجاهلية ، وأوائل الإسلام ، حديث طويل ، لأنه يكاد يكون حديثاً عن الشعر العربي كله ، أو جلّه .

وليس يتسع هذا الكتاب لمثل هذا الحديث الطويل ، فليرجع من أراد التوسع فيه إلى كتب الأدب العربي . وحسبنا أن نقول ، هنا ، إن الشعر العربي يبدأ في نجد واليمامة ، منذ عهد طسم وجديس ، وقد رأينا في الفصول السابقة شعراً لعفيرة وزرقاء اليمامة ، ولكننا نشك كثيراً في صحة هذا الشعر ، لأنه لا يختلف في شيء عن الشعر الأموي أو العباسي ، إلا أن يكون كلام « طسم وجديس » العاربة ، فيما زعموا ، ككلام من يسميهم المؤرخون : « المستعربة » .. ولغتهم كلغة القرآن ، وبذلك تنقلب الآية فيصبح العاربة هم : المستعربة !

شعراء المعلقات العشر

أول ما يلفت النظر ، بل ويبهره .. ان شعراء الجاهلية الأوائل ، أصحاب المعلقات العشر ، كلهم من نجد ، فان كان اثنان أو ثلاثة منهم لم يولدوا في نجد فقد عاشوا فيها وتغنوا بمرابعها .

وأولهم : امرؤ القيس ، ابن حجر ، ملك كندة ، الذي أضاع العرش،ولكنه لم يضع عرش .. الشعر ، فلقبوه : بأمير الشعراء .

يقولون إن امرأ القيس يماني ، قحطاني ، لأنه من كندة . ويقول «ابن بليهد» إن بلد امرىء القيس : ذو جرة ، قرية بمخلاف « السكاسك » في اليمن !

والحقيقة هي أن امرأ القيس « نجدي » ، بكل معاني الكلمة . فقد ولد في

نجد ، وأبوه ولد في نجد ، وجده ولد في نجد ، وأمه في أصح الروايات ربعية ، من نجد ، فماذا يريدون من الرجل ، أكثر من هذا ، حتى يكون نجدياً ؟

فإن قيل : أصل قبيلته من خارج نجد . قلنا : ما أكثر القبائل التي جاءت إلى نجد ، من خارج نجد ، وأصبح أبناؤها نجديين !

إن لغة امرىء القيس لغة أهل نجد ، والبلدان والمياه والمواضع التي ذكرها في شعره هي أماكن معروفة في نجد ، أما ما نسب اليه من الشعر لشدّه إلى اليمن ، فهو أضعف الشعر شبهاً بشعره ، وأقله ، وأدناه قيمة ، كقوله :

(دمون ، اننا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبون) !!..

وسواء أصح هذا الشعر أم لم يصح ، فانه لا يخرج امرأ القيس من نجديته ، لمجرد أن آباءه : قحطانية الأصل ، بـــل هناك من يذهب الى القول ان « كندة » نفسها عدنانية !

اشتهر امرؤ القيس بمعلقته المشهورة ، التي مطلعها :

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل »

وكان شعره أول الأمر ، في الغزل والخمر والوصف ونحو هذا ، فلما بلغه مقتل أبيه ، حرم على نفسه الخمر حتى يدرك ثأره ، وقال في رواية ، قوله المشهور :

اليوم خمر ، وغـــداً أمر . لا صحو اليوم، ولا شرب غدا .

وأنشد في رواية ثانية :

«خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد، اذا كان ما كان، مشرب»

وأصبح أكثر شعره ، بعد ذلك، مفاخرة ومدحا وهجاء ونحو ذلك. وانطلق امرؤ القيس يجمع الجموع ، ويستنصر العشائر على قتلة أبيه ، فنصرته قبائل بكر ، وتميم ، فقال في تميم :

« تميم بن مر ، وأشياعهـــا وكندة حولي جميعـا صبر
اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر »

ولما أدرك ثأره من بني أسد وحلفائهم رضي ، فقال :

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

وطلبه المنذر بن ماء السماء ليقتله كما قتل إخوته ، فهرب منه ، ولجأ أول الأمر الى زعيم من « تميم » هو المعلى ، فأجاره ، فقال فيه :

« كأني اذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ، ولا الملك الشآمي » !

ثم لجأ الى الروم ، وهناك أصيب بمرض ، ومات في طريق عودته ، وقيل إن قيصر الروم قتله لتشبيبه بزوجته ، وسموه : ذا القروح ، لقروح انتشرت في بدنه وسببت وفاته ، وقيل إنها الجدري .

ويأخذ عليه بعض المؤرخين التجاءه الى الروم واستنصاره بهم ضد قومه العرب ، ويعدون ذلك خيانة ، ويقول قاموس « المنجد » إن « جوستنيان » ولاه إمارة فلسطين ..

وأرجح الظن أن قصته مع جوستنيان ما تزال غامضة ، وان أمرأ القيس الذي ولاه جوستنيان على فلسطين هو رجل آخر ، يحمل اسم امرىء القيس ، ومن هناك حصل الالتباس !

وأما استنجاد امرىء القيس بالروم ، فذلك لأن خصمه المنذر كان ينصره الفرس .

ان شعر امرىء القيس مشهور ، ومنزلة صاحبه بين الشعراء معروفة ، ولم نذكره هنا الا للتنويه « بنجديته » ، ولتصحيح بعض أخباره التي يكثر فيها الخطأ والتشويه .

وشعراء المعلقات العشر ، غير امرىء القيس ، هم:

١ ــ طرفة بن العبد ، صاحب معلقة :

« لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد »

٢ ــ الأعشى ــ ميمون بن قيس ــ صاحب معلقة :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

٣ – الحارث بن حلزة اليشكري ، صاحب معلقة :

آذنتنا ببينهـا أسمـاء رب ثاو يُمَلُّ منه الثواء .

وهؤلاء الشعراء الثلاثة من بكر بن وائل .

وطرفة عند بعض النقاد ، أشعر الناس ، وعند بعضهم أشعرهم واحدة ، أي بعلقته . وقد قتله الملك عمرو بن هند ، وكان عمره عند وفاته ستاً وعشرين سنة . وكانت أخته شاعرة ، قامت برثائه ، وخاله هو الشاعر الكبير : المتلمس .

٤ – عمرو بن كلثوم ، صاحب معلقة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهـو من تغلب بن وائل ، وكان من فرسان العرب وفتاكها ، ومن أشهر أبياته :

وقد علم القبائل غير فخر إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون إذا أطعنا وأنا الغارمون اذا عصينا
وانا المانعون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا أتينا

*

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا
اذا بلغ الفطـام لنـا وليد تخرّ له الجبـابر ساجدينـا

وبذلك يكون أربعة من شعراء المعلقات من ربيعة !

٥ – عنترة بن شداد العبسي، صاحب معلقة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

٦ – لبيد بن ربيعة ، صاحب معلقة :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

٧ – النابغة « زياد بن عمرو » صاحب معلقة :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

٨ – زهير بن أبي سلمى ، صاحب معلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومـانة الدراج فالمتثلم

٩ - عبيد بن الأبرص ، صاحب معلقة :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيـــات فالذنوب

وهؤلاء الشعراء الخمسة ابتداءً من عنترة هم: مضريون. أربعة من قيس عيلان، وواحد من أسد بن خزيمة . (وهو عبيد) .

وأشهر هؤلاء الشعراء : عنترة ، وقد بلغ من شهرته أن سيرته ، وهي قصة شعبية ، بل ملحمة طويلة جداً ، تتخللها أبيات من شعره، كانت تنشد في الندوات الخاصة والعامة ، في مجالس متعاقبة يقبل عليها الناس مثل إقبالهم اليوم على حضور المسرحيات الكبرى وأكثر ، وقد ترجمت « سيرة عنترة » إلى أكثر اللغـــات الأوربية ووضعت مسرحيات وقصص وأغان باسم عنترة . وعنترة يستحق هـذا التقدير ، لأنه كان فارساً وشاعراً وجواداً كريماً ، بلغ الذروة في ولائه لقومـه ، وحبه الرفيـع « لعبلة » ، ويعتبر عنترة أول ثائر كبير على « شبهة اللون » أو مـا نسميه اليوم « التمييز العنصري » .

وقيل ان النبي (ص) قال: ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة!

ولعنترة أبيات مشهورة ، ذهب بعضها مذهب الأمثال ، لكثرة ما يستشهد بها الناس في كلامهم ، ومنها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

*

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدي قصيرة عنـــك فالأيام تنقلب

*

خلقت من الحديد أشد قلبـــا وقد بلي الحديـــد وما بليت

*

اذا بلغ الفطام لنـــا صبي تخر له أعادينـــا سجودا

*

وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

*

لا تسقني مـــاء الحياة بذلة　　　بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
مـاء الحيـاة بذلة كجهنم　　　وجهنم بالعز أطيب مـنزل

*

ولقد ذكرتك والرماح نواهل　　　مني وبيض الهند تشرب من دمي
فوددت تقبيـل السيوف لأنها　　　لمعت كبارق ثغرك المتبسم !

شاعرات نجد

ليس شعراء المعلقات ، الذين يدرس شعرهم في البلاد العربية كلها ، هم وحدهم رؤساء الشعر في نجد قديماً ، فهناك شعراء غيرهم كثر، ولدوا وعاشوا في نجـــد ، يسامونهم أو يأتون بعدهم في المرتبة ، ومن أشهرهم ، في الجاهلية : « المهلهل » ، وفي الإسلام : « جرير » .

ولم يكن الشعر في نجد قاصراً على الرجال ، فقد كان فيها شاعرات مجيدات ، منهن : صفية الشيبانية ـ التي أجارت « هند بنت النعمان » على كسرى ، ولها ذكر في موقعة « ذي قار» ـ وتماضر السلمية ، وسمية العبسية ، وغيرهن كثيرات، ويلاحظ أنه كانت في نجد أسر « شعرية » أو شاعرة ، كان الشعر سليقة في رجالها ونسائها على السواء ، كأم الأغر أخت المهلهـل ، وسلمى بنته ، والخرنق أخت الشاعر طرفة .

ومن الشعر الذي يتغنى به حتى اليوم لامرأة من نجد ، ما قالته ليلى العفيفة بنت لكيز ، وكانت فتاة بارعة الجمال ، فذهب بها أبوها الى فارس ، فأعجب بها ملك من ملوك الفرس ، فأراد بها سوءاً ، فتمنعت ، فاضطهدها وحبسها ، فكتبت الى ابن عم لها بكري يدعى « البراق » ، قصيدة تصف فيها حالها لينقذها ، ففعل، ومما جاء فيها :

(ليت للـبراق عيناً فترى　　　ما ألاقي من بلاء وعنـا
يا كليباً وعقيلاً اخوتي　　　يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم　　　بعذاب النكر صبحاً ومسا

غللوني ، قيّدوني ، ضربوا ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعي بعض حشاشات الحيا
فأنا كارهة بغيكم ويقين الموت شيء يرتجى) الخ.

وللشاعرة كرمة بنت ضلع هذه الأبيات المشهورة ، التي تنسب أحياناً الى غيرها :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطي البارق المسك في المفارق
والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق
عرس المولّي طالق والعار فيه لاحق !

وكانت النساء ينشدن هذه الأبيات في الحروب للحض على الثبات والإقدام .

أيام العرب وبلدان نجد وامكنتها في الشعر

كما تغنى الشعراء بنجد في جملتها ، تغنوا كذلك بكثير من بلدانها وأماكنها التي لا يزال أكثرها معروفاً بأسمائها القديمة حتى اليوم .

وهذا الحديث يسوقنا الى الكلام عن « أيام العرب » ، التي خلدوها في ملاحمهم وأشعارهم ، فان أكثرها يدور في بلاد اليمامة ونجد ، ويحمل أسماء أمكنة فيها ، ومن أعظم أيام القبائل العربية في نجد على غيرها : يوم « ذي قار » الذي غلبوا فيه العجم ، ويوم « خزازى الذي فضوا به جموع اليمن وهزموها .

ومن أشهر أيام القبائل العربية ، فيما كان بينها من الوقائع : الوقائع بين تغلب وبكر ، وبين تميم وحنيفة وبين عبس وذبيان ، الخ ..

حروب « البسوس »

عرفت الوقائع بين تغلب وتميم ، باسم حرب « البسوس »[1] .

وكانت تغلب ظاهرة في أيامهـــا الأولى – الذنائب ، واردات ، عنيزة – على بكر ، ثم غلبتها بكر في يوم « قضة » ويوم « تحلاق اللمم » .

والى ذلك يشير طرفة العبد بقوله :

سائلوا عنـــا الذي يعرفنا ما لقوا في يوم « تحلاق اللمم » !
يوم تبدي البيض عـــن أسوقها وتلف الخيـــل أنواع النعـــم

وقيل أن تغلب لو بقيت مستمرة في حروبها لأفنت الناس،ولذلك قال بعضهم: لو أبطأ الاسلام ، لأكلت بنو تغلب الناس !

لا نريد هنا التبسط في الحديث عـــن أيام العرب ، فليرجع الى كتب الأدب والتاريخ للوقوف عليها واستقصاء ما يتصل منها بنجد خاصة ، وهي تراث ملحمي رائع جداً .

وحسبنا الآن أن نورد ، على سبيل المثال ، طائفة من الشعر القديم فيها ذكر لأماكن وبلدان معروفة في اليمامة ونجد :

---

١ – كان السبب الذي هاج الحروب الموصولة بـــين تغلب وبكر ، فـــيما رووا ، أنه كان لكليب ، زعيم تغلب – ويقال له كليب وائل ، وكان يضرب به المثل في العزة والمنعة ، فيقال: « أعز من كليب وائل » – حمى لا يجرؤ أحـــد على استباحته، بل كان يجير الوحش والطير فلا يتعرض أحد لصيده ، حتى لقبوه مجير الطير ، فنفرت ناقة لامرأة من تميم تدعى « البسوس » ، كانت نازلة عند أخت لها متزوجة في بكر ، فدخلت حمى كليب وقيل انها كسرت بيض حمامة هناك ، فرآها كليب فرماها « أي الناقة » بسهم فقتلها ، فذهبت البسوس الى بكر شاكية باكية، فخرج ابن اختهـا « جساس بن مرة ، الى كليب فجأة وقتله ، فقـــام أخو كليب « عدي » ، الفارس الشاعر المشهور باسم « المهلهل » بالثأر له ، واتصلت المعارك بين تغلب وبكر عشرات السنين ، بسبب ناقة .. البسوس .

وكان جساس قاتل كليب ، من بني شيبان ، ولم تنصره قبائل بكر أول الأمر ، لظلمه ، ثم تجمعت ضد تغلب ، بعد أن كثر بغيهـا ...

فمن أيامهم التي ورد ذكرها في شعرهم :

« يوم القصيم »

قال زيد الخيل الطائي :

(ونحن الجالبون سباء عبس   الى الجبلين من أهل « القصيم »
فكان رواحها للحي كعب   وكان غدوهـا لبني تميم)

وقيل في القصيم ذماً :

ان القصيم بـلد محنة   أنكد ، أفنى أمة فأمة !

« يوم فلج »

وقال القحيف :

سلوا « فلج الأفلاج» عنا وعنكم   وأكمة اذ سالت سرارتها دما

« يوم ملهم »

وقال داود بن متمم :

ويوم أبي حر (بملهم) لم يكن   ليقطع حتى يدرك الزحل ثائره
لدى جدول النيرين حتى تفجرت   عليه نحور القوم واحمر حائره

*

ومما قيل في بعض بلدان نجد وأمكنتها :

لعمري لنور الأقحوان « بحائل »   ونور الخزامى في ألاء وعرفج
أحب إلينا يا حميد بن مـالك   من الورد والخيري ودهن البنفسج

وقال جرير :

أنظر خليلي بأعلى « ثرمداء » ضحى   والعيس جائلة أعراضها جنف

وقال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين « جلاجل »   وبين النقا ، آأنت أم أم سالم ؟

وقال ابن دريد :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله   عفا (الرس) منه و (الرسيس) فعاقله

وقال شاعر :

يضربن بالأحقاف قاع « الحرج »   وهن في أمنية وهرج

ويقول شاعر في أثيفية – أثيثية اليوم – وكان يقال لها أثيفية وأثيفيات وذات الأثافي :

دعونا قلوبنا بأثيفيات   وألحقنا قلائص يعتلينا

وقال عقبة بن سوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق   وربع خلا بين (السليل) و (ثادق)

وقال امرؤ القيس :

تراءت لنا يوماً بسفح عنيزة   وقد حان منها رحلة وقلوص

وقال جرير :

ان الفؤاد مع الذين تحملوا   لم ينظروا بعنيزة الاشراقا [1]

---

١ – أكثر هذه الأبيات في « معجم البلدان » لياقوت .

واذا اعتبرنا بلاد طيء – جبل شمر – من نجد ، وهي كذلك ، فيجب أن نضيف الى شعراء نجد في الجاهلية : اسمي حاتم الطائي ، والسموأل بن عاديا، وهما من هما في الوفاء والكرم ، الى شاعريتهما .

وكان بين فرسان العرب وحكامها وكهانها عدد غير قليل من سكان نجد .

ولكن العرب يومئذ لم يكونوا ينتمون الى البلاد ، وإنما ينتمون الى القبائل ؛ ولم نسق هذه الأمثلة إلا تبديداً للوهم العالق ببعض الأذهان .. من أن « نجداً » كانت تعيش ، لبداوتها وبعدها ، على هامش الحياة العربية ، مع أنها كانت في صميمها ، وكانت تحمل مثل غيرها بل أكثر : ألوية الشعر ، والفروسية ، والكرم .

أسماء ولاة اليمامة

قدمنا « ملازم » الكتاب بعد الفراغ من طبعها ، وقبل جمعها وتجليدها ، الى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيهـــا ، ففعل ، وتلطف باعطائنا « قائمة » أعدّها لنفسه بأسماء ولاة اليمامة في العهدين الأموي والعباسي ، وأذن لنا بنشرها في كتابنا ، وها نحن نفعل شاكرين له فضله ، وقد ذكرنا في الصفحة ٢٨ من كتابنا أسماء عدد من ولاة اليمامة، لم ترد في قائمة الجاسر.

قائمة ولاة اليمامة للاستاذ الجاسر

١ – في العهد الأموي

١ – في عهد عبد الملك : ابراهيم بن عربي .
٢ – في عهد الوليد : اقر ابراهيم بن عربي على ولايته .
٣ – في عهد سليمان بن عبد الملك : سفيان بن عمرو العقيلي ثم نوح بن هبيرة .
٤ – في عهد عمر بن عبد العزيز : زرارة بن عبد الرحمن .
٥ – في عهد يزيد بن عبد الملك : رد عليها ابراهيم بن عربي .
٦ – في عهد هشام : ابراهـــيم بن عربي ثم المهاجرين ابن عبد الله الكلابي ثم ابنه علي .

٧ – في عهد الوليد : علي بن المهاجر ثم حدثت ثورة داخلية فغلب على اليمامة المُهَيَّرُ بن سُلْمي الحنفي ، وبعده عبد الله بن النعمان .
٨ – في عهد مروان بن محمد : يزيد بن هبيره وقتله جيش بني العباس .

٢ – عهد بني العباس

١ – داوود بن علي بن عبد الله بن العباس .
٢ – زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح .
٣ – السري بن عبد الله بن الحارث .
٤ – قثم بن العباس .
٥ – الفضل بن صالح .
٦ – جعفر بن سليمان .
٧ – عبد الله بن مصعب الزبيري .
وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة .
٨ – سويد القائد الخراساني .
٩ – محمد بن سليمان بن علي .
ثم اثناء الخلاف بين الأمين والمأمون استولى طاهر بن الحسين على اليمامة .
١٠ – وفي عهد المأمون داوود بن منجور
١١ – اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب في عهد المعتز
١٢ – محمد ابو عون
١٣ – وفي عهد الموفق سعيد بن صالح الحاجب وبعده يارجوج
١٤ – اسندت ولاية اليمامة الى موسى بن بَغَا فولاها عبد الرحمن بن مفلح .
١٥ – وفي عهد المعتضد عباس بن عمرو الغنوي
١٦ – وفي عهد الراضي استولى عليها القرامطة وانفصلت عن الخلافة منذ ذلك العهد .

ملاحظات الشيخ حمد الجاسر

قدمنا « ملازم » الكتاب ، بعد الفراغ من طبعها وقبل جمعها وتجليدهـا ، إلى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وتلطف مشكوراً بكتابة هذه الملاحظات (وسنذكر نحن رأينا في ملاحظاته في الهوامش) :

الملاحظة الأولى

جاء في الصفحة (٣٧) ، في وصف أهل نجد : « أهملوا القرآن وما عـادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج » .

هذا الوصف غير صحيح !

إن نجداً منذ أن انتشر فيها الاسلام بعد وقعة اليمامة بقيت محافظة على التمسك بالدين والتقيد بتعاليمه ، حتى انتشر الجهل في القرون الأخيرة وامتزجت في الدين عادات سيئة ليست منه من الخرافات وتقديس القبور .

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله،بالدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة والرجوع إلى ما كان عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه والصدر الأول من الأمة عارضه من عارض اعتقاداً منهم ان ما يفعلون من دعاء الأموات هو من الدين،وكان الخلاف بين الشيخ رحمه الله وبين مخالفيه على أساس التوحيد أما بقيـة أعمال الاسلام فانه لم يعارضه أحد بشأنها .

وعند قيام الشيخ وقبله كان في نجد عدد من العلماء الذين كانوا يتلقون العلم في

البلاد الاسلامية في مصر والشام والهند وغيرها منهم :

الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرفي قاضي العُيَيْنة (توفي في ١١٢٥) .

والشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العُيَيْنة سنة ١٠٣٩ .

والشيخ حمد بن براهيم بن حمد بن عبد الوهاب الذي صاهر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الامام المجدد وتزوج ابنته وانتقل عنده الى الدرعية(توفي ١١٩٤) .

ومن علماء نجد الشيخ عثمان بن حمد بن قائد (توفي ١٠٩٩) وله مؤلفات منها شرح العمدة وحاشيته على المنتهى، وكتاب التوحيد ونجاة الخلف في اعتقاد السلف وقد درس في الشام ومصر .

والشيخ محمد بن أحمد بن مسمعيل في أشيقر (توفي ١٠٥٨) .

والشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل (توفي ١١٠٩) من أشيقر أيضاً .

والشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر المشرفي قاضي الرياض (توفي ١٠٤٩)

والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان الخالدي قاضي الرياض (توفي ١٠٩٩) .

والشيخ أحمد بن محمد المنقور مؤلف المجموع وقاضي سدير (توفي ١١٢٥).

والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير من اشيقر (توفي ١١١٤) .

هؤلاء لهم آثار في الفقه الحنبلي ، ولبعضهم صلات قوية بعلماء الشام ومصر مثل الشيخ ابن العماد ، والشيخ مرعي الكرمي ، والشيخ الحجّاوي ، والشيخ أحمد ابن النجار ، والشيخ منصور البهوتي وغيرهم من العلماء .

وهناك علماء من أهل نجد غلب عليهم الشقاء فعارضوا الدعوة الاصلاحية التي دعا اليها الشيخ أمثال راشد بن خنين قاضي الخرج ومحمد بن سلوم وأحمد بن فيروز ابن بسام والمويس وغيرهم من العلماء الذين لهم آثار في العلم إلا أنهم من حيث العقيدة من مخالفي الطريقة السلفية الصحيحة .

ردنا : إن كلام الاستاذ الجاسر إنما ينصرف إلى قول نقلناه عن بلغريف ، لا نؤاخذ به ، وقد قلنا رأينا في كلمتنا المذكورة في توطئة الكتاب ، فليرجع إليها .

وعلى كل حال ، ففي استعراض أسماء هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الجاسر نفع غير قليل .

الملاحظة الثانية

جاء في الصفحة ٢٨ : (من أمراء اليمامة أبو حفصة من قبل مراون ، ومروان ابن أبي الجنوب) .

وفي عهد مروان بن الحكم ، لما كان خليفة ، كانت اليمامة خارجة عن حكمه ، تحت حكم ابن الزبير وقد تولى مروان المدينة في عهد معاوية ، وقد تكون اليمامة في ذلك العهد مضافة اليه ولكن لم ار فيما اطلعت عليه نصا يدل على ولاية ابن حفصة والذي رأيته هو ان عبد الملك ارسل ابا حفصة ليكون على بيت المال في اليمامة وارسل ابراهيم بن عربي ليكون والياً ، وهذان الرجلان لهما يد على مروان عند وقعة الدار ولهما اثر كبير في حوادث اليمامة فقد استوطنت ذرية ابي حفصة اليمامة من عهد عبد الملك وبقيت معروفة بما نبغ منها من شعراء منهم مروان بن ابي الجنوب الذي لم ار من نص على توليه اليمامة مع شهرته وكثرة ذكره هو وآله .

ردنا : ولاية ابي حفصة أخذناها عن الأغاني ، وليس هذا الكتاب تحت يدنا لندل على الصفحة التي ذكر فيها الخبر .

أما ولاية مروان بن أبي الجنوب، فوجدنا بين أوراقنا قطعة منقولة عن «معجم الأدباء » وهذا نصها :

« .. عقد المتوكل لأولاده الثلاثة ، فدخل « مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة » ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

« بيضاء في وجناتها ورد ، فكيف لنا بشمه ؟ »

فسرّ المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً ، وأمر فنثر عليه بدرة دنانير .. وأمره بالجلوس ، وعقد له على اليمامة والبحرين . »

ملاحظات أخرى

وذكر الاستاذ الجاسر ملاحظات أخرى قيمة ، تؤيد أقوالنا في الكتاب ولا

تنقضها ، كقوله إن ابن بشر ، كتب في النسخة الثانية من كتابه ، أن ما ذكره في النسخة الأولى « عن أمر ابن معمر تقبل الشيخ » غير صحيح .

ويقول الشيخ الجاسر إن ما ذكر عن وجود قرية في القطيف باسم (الدرعية) إنما كان الأعتماد فيه على مصدر واحد ..

ويقول إن آل مشرف طارئين على العيينة ، وأصلهم من بلدة أشيقر .

ونحن لم نقل إنهم معرقون في العيينة ، ولكننا قلنا إنهم كانوا أسرة الزعامة الدينية فيها ، بسبب اقامة سليمان بن علي وابنه عبد الوهاب فيها مع أسرهما .

ويقول ان بعض علماء نجد كانوا يعرفون التوحيد ، مثل الشيخ ، ولكنهم لم يقوموا بمثل عمله ، كالشيخ عثمان بن أحمد ، صاحب كتاب « نجاة الخلف في اعتقاد السلف» وقد ذكرنا نحن أيضاً اسم هذا الشيخ، نقلاً عن صلاح العقاد،الذي زعم ان كتابه مفقود ، ويقول الجاسر إن كتابه موجود الآن في القاهرة .

وينكر الاستاذ ما جاء في كتابنا من ان الشيخ أمر بحلق لحية رجل ، وهي رواية للمع الشهاب ، لا نستطيع تغييرها ، ويقول إن الوهابيين لا يخالفون ابن تيمية إلا في مسألة طلاق الثلاث ، ورأيه كرأيهم في الوقف والنذر (وقد جاء ذلك في نص للشيخ عبد الله أوردناه في الصفحة ٢٣٩) .

ويقول أيضاً نقلاً عن كتاب مختصر تاريخ الكنيسة إنه كان في قطر أسقفية تشمل نجران واليمامة ، رداً على ما نقلناه عن المعجم الكنسي الفرنسي من أن المسيحية تسربت الى نجد في القرن السادس الميلادي (صفحة ٢٢) والمعجم الكنسي يعني بالمسيحية ، على الأرجح ، الكنيسة الكاثوليكية ، ثم هو يعني وجود أعداد من المسيحين تستحق الذكر ؛ وليس أحد هذين الكتابين أولى من الثاني بالتصديق !

ونحن ، على كل حال ، نشكر للاستاذ الجليل فضله الكبير ، ونقدر علمه الغزير ، وقد حرصنا على نشر ملاحظاته القيمة ، وإضافاته المهمة ، وتصويباته ، وهو في علمه وخلقه خير ناصح ومعين .